International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

البعد الفلسفي في أدب مصطفى محمود: الروح والجسد أنموذجًا

آية محمد رضا حاج علي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الوصل ـ دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة

تاريخ استلام البحث: 2026/03/01 **تاريخ نشر البحث: 2026/03/19** **المجلد: 8** **العدد: 1**

الملخص:
يهدف البحث إلى إثراء المكتبة العربية، والتعريف بمصطفى محمود من خلال فلسفته الأدبية والعقائدية، ويسهم في تأطير الرؤى الفلسفية في النصوص الأدبية، حيث تشكّل جوهر الإنجازات المكتوبة في الحضارات الإنسانية، وقد رأيت حجم اتّساع الفجوة في هذا المجال؛ فأحببت أن أبحث فيه معتمدةً على كتب المؤلف والدراسات السابقة التي تناولت حياته وإنتاجه الأدبي؛ ومنها: كتاب بعنوان (مصطفى محمود شاهد على عصره) وهو كتاب للمؤلف جلال العشري نُشر قبل وفاة الدكتور مصطفى محمود.
الكلمات المفتاحية: البعد الفلسفي، أدب مصطفى محمود، الروح والجسد

The Philosophical Dimension in Mustafa Mahmoud's Literature: The Soul and Body as a Model

Aya Mohamed Reda Haj Ali, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, Al Wasl University – Dubai, United Arab Emirates
Corresponding Author: Ayaa Nasser Albalkhi, **E-mail:** aya.rida.ali7@gmail.com

RECIEVED: 01 March 2026 **PUBLISHED:** 19 March 2026 **DOI:** 10.32996/ijalls.2026.8.1.4

Abstract
The study aims to enrich the Arabic library and introduce Mustafa Mahmoud through his literary and ideological philosophy. It contributes to framing philosophical perspectives within literary texts, which constitute the essence of written achievements in human civilizations. Noting the vast gap in this field, I chose to explore it, relying on the author's books and previous studies addressing his life and literary production, including a book titled Mustafa Mahmoud: Witness to His Era by Jalal Al-Ashri, published before Dr. Mustafa Mahmoud's passing.

Keywords: Philosophical Dimension, Mustafa Mahmoud's Literature, Soul and the Body

مقدّمة

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد، وبعد:

الفلسفة أمّ العلوم الإنسانيّة، وهي منذ القدم حتى الآن ذات أثر في كل المجالات العلميّة التجريبيّة منها والنظريّة، وعلى الرغم من أهميتها هذه إلا أنّ طلبة العلم وفئات المجتمع في كل مستوياتها تنفر من الفلسفة لكثرة التّعقيد في مضامينها ومذاهبها، وهي على شموليّتها وصعوبتها من الأهميّة بمكان؛ حيث يجب على كل إنسانٍ في كل مجتمعٍ أن يطّلع عليها ولو بشقّ يسير؛ فهي الممارسة التأمّلية التي تشحذ الذهن وتنمّي القدرة على التّحليل والنّقد والتفسير.

"تلتقي الفلسفة مع باقي العلوم في مناطق الحدود، وهي مناطق تتساءل عن المنهج والغايات والمعنى، فكلّ علمٍ إلا وله حدود مشتركة مع الفلسفة".[1]
وهو ما عبّر عنه الفيلسوف برتراند راسل بقوله: "إنّ النّشاط التأمّلي هو نوع من الاستكشاف أو الاستطلاع، وهو يشكّل واحدًا من مقوّمات الفلسفة".[2]

وعليه؛ فإنّ الفلسفة أشدّ ما تكون ارتباطًا باللّغة في المقام الأول، "فنحن عندما نتحدّث عن فلسفة اللّغة؛ فإننا نتحدث عن تلاحم اللّغة باعتبارها علمًا، والفلسفة باعتبارها نمط تفكيرٍ وتأمّل، فمنذ نشأة الفلسفة كان الفلاسفة مولعين باللّغة معنيّين بها".[3]

وبما أنّ اللغة كانت ولا تزال الوعاء الحامل للأدب، فإنّ الفلسفة تلتقي بالأدب بقاسمٍ مشتركٍ بينهما هو: اللّغة والفكرة.

ومن هذا المنطلق كان انطلاقي في اختيار هذا الموضوع مادةً لبحثي، فالفلسفة "ليست سوى تلك المحاولة التي يُراد بها معرفة الله والإنسان والعالم، وعلاقة كلٍّ بالاثنين الآخرين".[4]

وقد بحثت في سِيَر أعلام الفكر والفلسفة في الوطن العربي فوقع اختياري على الأديب الطبيب المفكّر (د. مصطفى محمود) مجسدًا للفكر الفلسفي الإسلامي، بأصدق محاولات السّير إلى الله عن طريق تحقيق المعرفة به، من خلال شهوده في خلقه وإعجاز آياته في الكون والإنسان .. والعالم.

ولعلّ هذا من أهمّ أسباب اختياري لهذا الموضوع، وهو حبي لهذه القامة الأدبيّة الرفيعة، وشغفي بعقليته الفكريّة التي اتّسمت ببُعْدٍ فلسفي في جوانب العقيدة والدين والفكر والسياسة وشتى مجالات الحياة، مما بثّ عمقًا فكريًا في كتاباته وإنتاجه الأدبي مكتوبًا ومسموعًا ومرئيًا، ولما أحدثه أسلوبه الأدبي من أثرٍ في نفسي منذ الصغر.. كيف لا؟ وهو العميق البسيط، الصارم الهادئ، السهل الممتنع بآنٍ معًا.

ولميلي للاعتقاد بارتباط الفلسفة بالأدب؛ فكل إنتاجٍ أدبي يعبّر بالضرورة عن فلسفة صاحبه ورؤاه، ولابدّ للنص الأدبي أن ينضوي على فكرةٍ عميقة وقضيةٍ فكرية تشكّل جوهره وتحقق الهدف من إنشائه، وقد أهمل الدارسون هذا الجانب من النص، حيث لجأ أغلبهم لدراسة جماليّات النّص وتحليل البنى وتتبع الخصائص الفنية فيه، دون التطرق إلى ما يحمله من قضايا فلسفيّة فكريّة تشكّل لبّ الأدبيّة، فما الأدب دون الفكرة؟ وما قيمة المتعة الأدبية إن لم تترك نضجًا فكريًا في المتلقي؟!

السبب الأساسي والأهم: أنني وجدت مصطفى محمود وهو فيلسوف مفكر أديب قد هُضم حقه؛ فلم يحظَ باهتمام الدّارسين، على الرغم من إنتاجه الغزير وخبرته بمجالات علميّة شتى، تغلغلت في ثنايا أدبه وامتزجت به فشكّلت مزيجًا رائعًا رائقًا بين شقيّ العلوم التجريديّة التجريبية والإنسانية الأدبية.

يهدف البحث إلى إثراء المكتبة العربية، والتعريف بمصطفى محمود من خلال فلسفته الأدبية والعقائدية، ويسهم في تأطير الرؤى الفلسفية في النصوص الأدبية، حيث تشكّل جوهر الإنجازات المكتوبة في الحضارات الإنسانية، وقد رأيت حجم اتّساع الفجوة في هذا المجال؛ فأحببت أن أبحث فيه معتمدةً على كتب المؤلف والدراسات السابقة التي تناولت حياته وإنتاجه الأدبي؛ ومنها: كتاب بعنوان **(مصطفى محمود شاهد على عصره)** وهو كتاب للمؤلف **جلال العشري** نُشر قبل وفاة الدكتور مصطفى محمود.

وكتاب **(مصطفى محمود: سؤال الوجود)** للكاتبة: **لوتس عبد الكريم**، وقد كانت على اتصال بالدكتور مصطفى محمود.

ودراسة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير: **(الدكتور/مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة)** للباحث: **حسني محمد العطار**.

وقد عملت على تقسيم البحث وُفق خطةٍ منهجيّةٍ احتوت مقدّمةً وتمهيدًا وفصلين، وخاتمة.

المقدّمة ذُكر فيها أهميّة الموضوع وسبب اختياره، والمنهج المُتّبع، وخطة البحث.
تضمّن التمهيد إشارةً إلى مفهوم الفلسفة بشكلٍ عام، وارتباطها باللّغة والأدب بشكلٍ خاص، ونبذة مختصرة عن جهود العرب فيها.

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن حياة الكاتب والمصادر التي ساعدت على تشكّل فكره الفلسفي، وينقسم بذلك إلى مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالكاتب (اسمه، نشأته، وفاته)

المبحث الثاني: مصادره الثقافيّة وأبرز مؤلفاته
وأما الفصل الثاني فقد تناولت فيه بضع مقالات من كتابه (الروح والجسد) شرحًا وتحليلًا، مع الوقوف على أبرز القضايا الفلسفية التي تجلّت فيه.
ثم ذيّلت بملخصٍ للبحث يضمّ أهم النتائج التي توصلت إليها، وتلته الخاتمة.

---

[1]. د. أحمد بوعود، الفلسفة على حدود اللغة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، 2022م/1443هـ، صـ(5).
[2]. برتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرياء، عالم المعرفة، 1983م، ج1، صـ(18).
[3]. د. أحمد بوعود، الفلسفة على حدود اللغة، صـ(5)، **(بتصرف)**.
[4]. جلال العشري، مصطفى محمود شاهد على عصره، ط5، دار المعارف، القاهرة/ مصر، د.ت، صـ(7).

وقد نهجت في بحثي المنهج التحليلي الوصفي، للوقوف على أهم الرؤى الفلسفية في فكر الكاتب مصطفى محمود.
من الصعوبات التي واجهتني كثرة مؤلفات الكاتب وتعدّد مواقفه فيها، فقد مرّ بمراحل مختلفة من الوعي الفكري أدت لتغيير آرائه في كثير من القضايا وذلك حسب تصريحاته هو شخصيًا.

كما واجهت صعوبةً في مطالعة الكتب التي كانت تناهض أفكاره وترد عليه كلٌّ حسب اختصاصه، حيث انتقده العديد من المفكرين والشيوخ وردوا عليه بمؤلفات وكتب ناقشت المواضيع الدينية الشائكة التي خاض فيها مثل قضيّة (الشفاعة).

تمهيد

مفهوم الفلسفة

"إنّ المضمون الجوهري للفلسفة يتلخّص في كونها تعني السعي وراء المعرفة، فيما يخصّ أمورًا أساسيّة في حياة الإنسان؛ كالحياة والموت والحقيقة، واستيعاب الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وهي أيضًا التفكير النقدي العلمي المنظم والبحث عن الوجود، وفي الوجود، والبحث عن المعرفة والإنسان والسلوك الإنساني والغايات والمعاني، وهي كما يقول ماركس: زبدة عصرها الروحيّة، وروح الثقافة الحيّة.

وقد لعبت الفلسفة الدور الأكبر في ظهور الحضارات وتطوّر علوم الفيزياء والفلك والفضاء والاكتشافات الجغرافية والعلمية في شتى مجالات العلوم: الحيوية والتطبيقية والنظرية والإنسانية؛ لذلك لم يكن مستغربًا إقبال العلماء المسلمين على الاتجاه الفلسفي واطّلاعهم على الفلسفة الإغريقية وفلسفة أرسطو بشكل خاص، ثم إقبال الفلاسفة الأوربيّين على متابعة إنتاج الفلسفة الإغريقية كما كتب الفلاسفة العرب المسلمون، أي أنهم استعانوا بالترجمات العربيّة للفلسفة الإغريقية والتي تمّت في العصور الذهبية للإسلام (العصر العباسي)".[5]

"نشأت الفلسفة في رحاب بلاد اليونان القديمة فقد كانت أول من ابتكر هذا العلم وهذا المصطلح، وقد بزغ نور الفلسفة على يد أول الفلاسفة الحقيقيّين في القرن السادس قبل الميلاد، وذلك بإفصاحه عن سؤالٍ غريب: (ما الأصل الذي صُنع منه الواقع؟)".[6]

تعريف الفلسفة

الفلسفة لغةً: هي حبّ الحكمة؛ وهي مكوّنة من كلمتين يونانيّتين: فيلو وتعني حب، وسوفيا وتعني الحكمة، ويعزوا بعض المؤرّخين نحت هذا المصطلح إلى (فيثاغورس) الرياضي، وبعضهم يقول إنّ أول من أتى به كان سقراط، والبعض الآخر ينسبه إلى أفلاطون.

الفلسفة اصطلاحًا: مجموعة العلوم التي تبحث في الكليات، والتفكير في ما وراء الواقع والظاهر، والتأمّل في ما وراء الجزئيات والمظاهر، حيث تهتمّ بالبحث في ما وراء الوقائع والجزئيات والمعطى، فهي عمل العقل لحل المشكلات، والإجابة على التساؤلات، وفكّ ألغاز الحياة والوجود من زاوية كليّة وليس جزئيّة؛ فهي بذلك مجموعة الدراسات التي تقسّم المعرفة الإنسانية إلى: فلسفة العلم، فلسفة التاريخ، فلسفة القانون، بالإضافة إلى تكوين وجهة نظر عامّة للكون والحياة؛ وهي نتيجةً لذلك تتعلّق بالرّوح والعقل والأحكام القيميّة التي تشمل الأخلاق، الجمال، المنطق.

من الجدير بالذّكر أنّ الفلسفة لم تظهر بظهور المصطلح الدال عليها؛ فالإنسان لم ينتظر نشوء الحضارة اليونانية حتى يُعمل فكره وعقله للوصول إلى نظرةٍ في الحياة وفهم كلي، كلّ ما هنالك أنّ الفلسفة قد اتخذت منحىً في الحضارة اليونانيّة مختلفًا عمّا كانت عليه في حضاراتٍ أخرى؛ نظرًا لتطور وعي الإنسان والتراكم الثقافي والحضاري الذي حقّقه.[7]

الفلسفة عند العرب

لا تستطيع جميع الكتب التي أُلّفت في سبيل تفنيد الفلسفة العربية والإسلامية أن تطمس جهود المسلمين الأوائل في الفلسفة، فقد برعوا أولًا في ترجمة كتب الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية، والتي كانت قد وصلت إليهم في العصر الذهبي للإسلام (العصر العباسي)، ثم انطلقوا في مجال التّأليف فظهر علم الكلام وعلم أصول الدين إلى أن تشكّلت أفكار الفلسفة الصوفيّة الإسلاميّة.

ومن أشهر فلاسفة المسلمين: الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، ابن خلدون.

"إنّ مسار النّهضة الإسلامية -صعودًا وهبوطًا-ظلّ مرتبطًا بتقدّم أو تأخّر الإبداع الفلسفي، وآيةُ ذلك أنّ القرن الرابع الهجري -الذي عدّه آدم ميتز بمثابة العصر الذهبي في تاريخ الإسلام-قد شهد وصول الفلسفة الإسلاميّة مبلغ نضجها العقلي قبل أن تدخل في طور الانحطاط لعوامل متعددة، يأتي في مقدمتها: اتخاذ بعض الفقهاء موقفًا متشددًا من الفلسفة وما يتصل بها؛ حتى شاع القول المشهور (من تَمَنْطق فقد تَزَنْدق)".[8]

وخير ما أستشهد به في هذا المقام، قول ابن خلدون في مقدّمته حين ناقش بعض آراء الفلاسفة ليفّندها: "وليس له -أي علم الفلسفة-إلا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين".[9]

---

[5]. غازي الصوراني، حول أهمية الفلسفة ودورها في تطور واستنهاض شعوب بلدان مغرب ومشرق الوطن العربي (مقال)، موقع: بوابة الهدف الإخبارية، الثلاثاء 4 أكتوبر 2022م، **(بتصرف).**

[6]. ديف روبنسون – جودي جروفز، أقدم لك الفلسفة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م، صـ(11-12)، **(بتصرف).**

[7]. د. رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي/ ليبيا، 2004م/1425هـ، صـ(15-16-17-18)، **(بتصرف).**

[8]. مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، دار الكتاب المصري، القاهرة/ مصر، 2011م، صـ(85)، **(بتصرف).**

[9]. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق/ سوريا، 1425هـ/ 2004م، ج2، صـ(325).

ثم يتابع فيقول: "فليكن الناظر فيها متحرزًا جهده من معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيّات والاطّلاع على التّفسير والفقه"، وفي هذا إشارةٌ إلى جهود العرب في الفلسفة، مع اعتقادهم بضرورة الاحتراز من متاهات المذاهب الفلسفيّة المتعارضة في الآراء والتي تبالغ في أحكامها وشطحاتها خصوصًا في فروع الميتافيزيقيا.

علاقة الفلسفة باللّغة والأدب

لطالما كانت اللّغة الوعاء الحامل لفكر الإنسان، ولطالما كان الأدب بابًا من أبواب المعرفة الإنسانيّة والثقافة الفكريّة، ولطالما كانت الفلسفة باتّساع مجالاتها أمّ العلوم، من هذه الثّوابت الفكريّة في حضارة الإنسان؛ يتّضح لنا مفهوم العلاقة بين اللغة والأدب والفلسفة.

ورغم وضوح هذه العلاقة بين الفلسفة والأدب، إلا أنّ الفلاسفة القدماء اختلفوا في شأنها، فمنهم من قال بزيف الأدب ومبالغات الشعر على أنها مجرد أوهام وتخيلات بعيدة عن الفكر والمنطق، ومنهم من ربط الفلسفة والمنطق بالوجدان من حيث أن الفلسفة تبحث في الوجود عن الوجود، والأدب يعبّر في المقام الأول .. عن هذا الوجود.

والحق أننا يصعب أن نجد نصوصًا أدبية تخلو من المضامين الفلسفيّة، فالقيمة الفكريّة التي تتجلى في النّص الأدبي تقتضي بالضرورة وجود لمحةٍ فلسفيّة سواءً تمّ التعبير عنها ضمن العناصر الهيكلية للنص، أم استترت بشكلٍ خافت خلف الأدبيّة التي فيه؛ وإلا فكيف نفسّر فلسفات الحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى في العصر الجاهلي؟ وكيف نفسر فلسفة المتنبي التي حاز بها لقب الشاعر العبقري الذي ملأ الدّنيا وشغل الناس؟!

وسواءً وافق رأيي هذا ما ورد في كتب الفلاسفة والأدباء واللّغويين أم خالفه؛ فإنه لا يمكن لصاحب عقل أن ينكر ما بين الفلسفة والأدب من ارتباط من حيث المضامين الفكرية ومن حيث الجانب النّقدي، فالفلسفة تهتمّ بالبحث في القضايا الوجوديّة ثم بنقد وتحليل ومناقشة هذه القضايا بمنهجٍ جدلي، والنقد الأدبي في المقابل يهتم بنقد وتحليل النصوص ومعالجة القضايا الواردة فيها، وُفق مناهج علمية متعددة.

ويقول النّاقد المغربي محمد يوب: "إن الفيلسوف مارتن هايدجر حاول أن يتتبّع أسس العلاقة الوطيدة بين الفلسفة والشعر عن طريق إحداث الروابط بينها، والوقوف على القواسم المشتركة بين الفلسفة والأدب؛ والقاسم المشترك بينهما في نظره هو اللغة؛ لأن الشعر والفلسفة يؤسسان وجودهما بواسطة اللغة؛ ولهذا يؤكد أن الفلسفة والأدب مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، والعلاقة بينهما علاقة عشقٍ أبدي، علاقة حبٍ حارق، يجعل كلًا منهما عاجزًا عن العيش بعيدًا عن الآخر".[10]

"لا نتيجة تُرجى من فلسفةٍ تبقى إلى الأبد فلسفة مجردة، بعيدة عن أي تماس مع ما ينبض ويتحرك في الحياة اليوميّة للناس، كما في صدور البشر وأفئدتهم، وكذلك وبالمقدار نفسه، لا قيمة للعمل الأدبي إذا خلا من المعنى؛ فالمعنى هو الذي يمنح الأثر الأدبي أسباب الحياة والبقاء والديمومة، ومن هذا الباب تدخل الفلسفة إلى الأدب، فهي تضع بتصرّف التجربة الأدبيّة إمكانات ثقافيّة وجماليّة واسعة تُثري الأدب والفن من جهة المعنى والمضمون، كما من جهة الأساليب الفنيّة والأدوات التعبيرية.
إذن كل أدبٍ وكل فنٍ محتاجٌ بالضرورة إلى هذا القدر أو ذاك من الفلسفة.
وإنّ كل أدب عظيم تمكّن من البقاء عبر الأجيال، وانتزع النفوذ عبر الثقافات، إنّما كان له ذلك لأنّه كان تحديدًا: **أدبًا فلسفيًا**".[11]

الفصل الأول: حياة الكاتب
المبحث الأول: اسمه، مولده، نشأته، وفاته

أولًا: اسمه

الدكتور مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، ينحدر من عائلةٍ كريمةٍ تُلقّب بالأشراف، حيث ينتسبون لآل بيت النّبي صلى الله عليه وسلم فيلتقي نسبه مع الإمام علي بن أبي طالب،[12] وقد عُرِف في الوسط الأدبي واشتُهر بين النّاس باسمه (د. مصطفى محمود).[13]

ثانيًا: مولده

ولد الدكتور مصطفى محمود في قرية (ميت خاقان القديمة) وهي تابعة لمدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية، وهي من محافظات وسط مصر، وكان مولده في العشرين من كانون الأول سنة ألف وتسعمائة وإحدى وعشرين (1921/12/20م).[14] وقد كان الأصغر بين إخوته، حيث سبق زواج أمّه بأبيه زيجات متعددة لكليهما.

[10]. محمد يوب، (أدب.. فلسفة أي علاقة؟): (مقال)، جريدة القدس العربي، 8 أبريل 2015، **(بتصرف)**.
[11]. د. محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2009م، صـ(5) **(بتصرف)**.
[12]. سيد الحراني، الفارس المتمرد: مذكرات مصطفى محمود، جريدة المصري اليوم، عدد 15/ 12/ 2009م، **(بتصرف)**.
[13]. أحمد الجزار، مصطفى محمود والتصوف، دار أخبار اليوم، القاهرة/ مصر، 1999م، صـ(68)، **(بتصرف)**.
[14]. حسني محمد العطار، الدكتور/ مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 2014م/1435هـ، صـ(12)، **(بتصرف)**.

ثالثًا: نشأته

نشأ مصطفى محمود في أسرة طيبة المنبت، بين أبٍ حنون وأمٍّ عطوفة، وإخوة كثر، أشقاء وغير أشقاء، وقد كانوا رفقاء دربه، قاسموه طريقه حتى بعدما كبر ونضج حيث عاش مع أخته الكبرى بعد وفاة والديهما؛ توفي أبوه بعد صراع طويل مع المرض، ولحقت به أمه بعد أعوام.

ولد مصطفى محمود في محافظة المنوفية، ثم انتقل وأسرته إلى محافظة طنطا حيث كان يعمل والده موظفًا حكوميًا،[15] وعلى الرغم من ضيق الحال إلا أنه كان رجلًا تقيًا كريمًا طيب النفس، يحب الفقراء ويعطف على المحتاجين، ويقدم المساعدات المالية والصدقات رغم حالته المادية العسرة.[16]

تعلّق مصطفى محمود بوالده تعلقًا شديدًا حيث يعدّ معلمه الأول ومرشده الحقيقي، زرع فيه بذرة حبّ الخير منذ الصغر، وربّاه على القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة وطلب العلم والمثابرة، واهتمّ بتنشئته تنشئةً دينية؛ فكان دائمًا ما يشتري له الكتب والمجلات، وكان حنونًا عطوفًا ليّن الجانب حسن المعاشرة، مثقفًا محبًا للعلم والمعرفة، وقد أورث هذه الصفات كلها لابنه وزرعها فيه منذ صغره، فيعدّ الرافد الأول الذي نهل منه مصطفى محمود رقي مبادئه ونبل إنسانيته وصفاء سريرته وقيمه النبيلة، وذلك بشهادة مصطفى محمود حيث يقول: "ربّاني والدي في المسجد والكتّاب، أي أنها كانت طفولة دينية من الدرجة الأولى، لقد كان أبي يميل إلى الكمال الخلقي النادر، وتعلمت منه الكثير من القيم والمثل العليا والنبيلة".[17]

وقال: "أبي شكّل الدعم الأكبر في هذه المرحلة (يقصد مرحلة الطفولة)"، وقد وصفه قائلًا: "والدي، ذلك الحنون الذي ينتمي في خاطري إلى تكوين الملائكة".[18]

مما سبق يتضح أن الحالة الأسرية المستقرة التي كبر في ظلها مصطفى محمود والطفولة الصافيّة وأجواء القراءة وحفظ القرآن وحب الكتب، كلها عوامل ساعدت في تشكيل اتجاهاته الفكرية ونظرته الفلسفية وتكوينه النفسي والديني فيما بعد.

رابعًا: وفاته

عانى مصطفى محمود طيلة حياته من أزماتٍ صحية؛ أثّرت فيه نفسيًا وجسديًا، ورافقته حتى نهاية عمره حيث أُصيب بجلطةٍ دماغية في أواخر سنين حياته، خضع على إثرها لعمليات جراحيّة في المخ مما أفقده القدرة على النطق والحركة؛ فاعتزل الناس والمجتمع، وأمضى آخر عشرة أعوام في وحدة تامّة مختفيًا عن الأنظار، حتى وافته المنية في صباح يوم السبت في اليوم الأخير من شهر تشرين الأول (31/ 10/ 2009م) الموافق 12 ذي القعدة 1430هـ، عن عمرٍ ناهز (88) عامًا، وشُيّع جثمانه من مسجده (مسجد محمود) بالقاهرة، في جنازةٍ مهيبة غلب عليها البسطاء من الناس الذين كان يقدم لهم الخدمات الطبية والإنسانية،[19] وسط تعتيم غريب من وسائل الإعلام وغياب رجال الجهات السياسية والفنية.[20]

المبحث الثاني: مصادره الثقافيّة وأبرز مؤلفاته

أولًا: المصادر المشكّلة لفكره الفلسفي

- والده:

كان لوالده أكبر الأثر في تكّون مرجعيّته الدينيّة وقيمه الأخلاقيّة، حيث ترعرع في رحاب العلم والفضيلة، ونشأ على حبّ الخير وإعلاء كلمة الحق، ولعل أبرز صفة اكتسبها من والده هي صفة الإنسانيّة؛ فقد كان مصطفى محمود ينفق جلّ ماله على إنشاء المراكز الخيرية ومساعدة المحتاجين ماليًا وطبيًا، واعترافًا منه بفضل والده قام ببناء مسجد بمحافظة الجيزة في شارع (جامعة الدول) وسمّاه باسمه (مسجد محمود).[21]

- نشأته الدينية:

كان لحضوره حلقات الذكر والموالد وابتهالات المتصوفة والدراويش، ومسكنه قرب مسجد السيد البدوي في طنطا والذي يعدّ أحد مزارات الصوفيّة الشهيرة في مصر، كل هذه العوامل كان لها أكبر الأثر في تشكّل نزعته الصوفية وفكره العقائدي.[22]

- مرضه واعتكافه على القراءة:

ولد مصطفى محمود بجسدٍ نحيل في حالةٍ صحية مضطربة، وذلك حسب ما ترويه ابنته (أمل مصطفى محمود) في كتابها (أبي)، وقد رافقته هذه الوعكات الصحية طيلة حياته منذ الطفولة حتى الوفاة، ممّا أثّر في تحصيله الأكاديمي بسبب انقطاعه عن دراسته في كلية الطب، ولكن هذه الأزمة الصحيّة التي مرّ بها كانت شعلة الانطلاق التي مهدت أمامه الطريق ليفتتح رحلته العلمية ويحلّق في آفاقها، حيث ذكر في أحد حواراته التلفزيونيّة: "مررت بتجربةٍ مرضية قاسية، عندما كنت طالبًا في كلية الطب، وتنقّلت بين المستشفيات المختلفة طيلة أربع سنوات كاملة، وأجريت

---

15. المرجع السابق، صـ(13)، **(بتصرف).**
16. أمل مصطفى محمود، أبي، مذكرات منشورة في مجلة صباح الخير، الحلقة الأولى، صـ(4)، **(بتصرف).**
17. سيد الحراني، الفارس المتمرد، الحلقة الأولى، **(بتصرف).**
18. سيد الحراني، الفارس المتمرد، الحلقة الأولى، **(بتصرف).**
19. سيد الحراني، الفارس المتمرد، الحلقة (24) **(بتصرف).**
20. جريدة المصري اليوم: عدد الثلاثاء، 24 مايو 2011، تصريح لابنته أمل مصطفى محمود، **(بتصرف).**
21. أمل مصطفى محمود، أبي، الحلقة الأولى، صـ(4)، **(بتصرف).**
22. أ. حسني محمد العطار، الدكتور/ مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة، (رسالة ماجستير) صـ(14)، **(بتصرف).**

اثنتين وعشرين عملية جراحية، كانت بمثابة عمليات ترميم لكل جسمي، وكنت أجلس بمفردي، لا أتحرك من السرير، وهنا كانت نقطة التحوّل في حياتي، التفكير العميق، والتدبر، ومرحلة القراءة والبحث، ولولا هذه السنوات الأربع الصعبة؛ ما وصلت إلى ما وصلت إليه كطبيب ومفكر وكاتب".

كما قال في أحد كتبه: "وأنا أذكر أني أجريت في حياتي العديد من الجراحات، ارتبطت آلامها المضنية بنمو خاصيّة التأمل والتفكر فيما أقول وفيما أكتب".[23]

- التيارات الفكرية في عصره:

ولد مصطفى محمود في فترة زمنية مضطربة، ونشأ وعاش حياته طفلًا وشابًا ورجلًا في خضمّ الأحداث السياسية والفكرية والاجتماعية الهائجة، حيث يعدّ عصره عصر النزاعات السياسية المتأججة، وبداية عهد التطور الفكري والعلمي والصناعي والثورات العلمية التي صاحبت الثورات السياسية، وذلك على جميع الأصعدة وفي مختلف الميادين: الثقافية، الفنية، السياسية، الاجتماعية، الأدبية، الدينية، الفكرية.

شاعت في بدايات القرن العشرين مسألة الإلحاد حيث انتشرت مفاهيم الفلسفة الماركسية، وطفت على السطح أفكار الشيوعيين ومبادئ الاشتراكية، وانتشرت حركات فكرية سياسية كالوجودية والفوضوية والعبثية، وتأثر بعض كبار المفكرين في الوطن العربي بهذه التيارات الفكرية الفلسفية، منهم: طه حسين، نجيب محفوظ، عباس محمود العقاد (تأثره كان إيجابيًا حيث ألف كتبًا يرد فيها على معتقدات هذه التوجهات).

أما عن مصطفى محمود فقد تأثر في بداياته بهذه التيارات الفلسفيّة؛ فقد قرأ عن الماركسية والاشتراكية والشيوعية والوجودية والعبثية، حيث كانت تنادي بالمادية وتتّبع منهجية جدليّة تفرض بها سلطة العلم، وتُجرّد مناحي الحياة الإنسانية من كل المعاني الروحية، وتعترض على معتقدات جميع الأديان، وقد شُغف مصطفى محمود في البداية بهذا المبدأ العلمي الذي يفسر جميع ظواهر الحياة الطبيعية بالعلم والعلم وحده، وقد وصف تأثره فقال: "لقد رفضت عبادة الله لأنني استغرقت في عبادة نفسي وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة..... لم يكن الأمر سهلًا لأني لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذًا سهلًا، ولو أني أصغيت إلى صوت الفطرة وتركت البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل .. ولقادتني الفطرة إلى الله .. ولكنّي جئت في زمن تعقّد فيه كل شيء، وضعُف صوت الفطرة حتى صار همسًا وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجةً وغرورًا واعتدادًا، وغرقت وأنا صبي في كتب شبلي شميل، وسلامة موسى وفرويد، وداروين، وشُغفت بالكيمياء والطبيعة والبيولوجيا، وكانت الصيحة التي غمرت العالم هي: العلم .. العلم .. العلم.. ولا شيء غير العلم؛ النظرة الموضوعية هي الطريق؛ لنرفض الغيبيات ونكفّ عن ترديد الخرافات. وحول أبطال الغرب وعبقريّاته كنا ننسج أحلامنا ومثلنا العليا، حول باستير وماركوني ورونتجن وأديسون ونابليون وإبراهام لنكولن...

كان الغرب هو التقدم، وكان الشرق العربي هو التخلف والضعف، وكان طبيعيًا أن نتصوّر أنّ كلّ ما يأتينا من الغرب هو النّور والحق، وهو السبيل إلى القوّة والخلاص.

وتعلمت مع ما تعلمت في كتب الطب .. النظرة العلميّة، وأنه لا يصح إقامة حكم بدون حيثيّات من الواقع وشواهد من الحس، وأن العلم يبدأ من المحسوس والمنظور والملموس، وما لا يقع تحت الحس فهو في النظرة العلميّة غير موجود، **فالغيب** لا حساب له في الحكم العلمي، بهذا العقل العلمي المادي البحت بدأت رحلتي في عالم العقيدة".[24]

وإنّ خير ما أستشهد به في هذا المقام هو وصف الكاتب جلال العشري لتموضع مصطفى محمود في عصره، حيث قال: "إذا نظرنا إلى تيار العصر الذي وُجد فيه مصطفى محمود وأوجد فيه نفسه، وأثّر فيه بقدر ما كان أثرًا من آثاره، فإننا نستطيع القول أنه في هذا الجو الحضاري المريض، الذي تحطمت فيه بقايا المعنويات القديمة، واتّسعت فيه هوة الفراغ العقلي، وخلا من الأنماط الثقافيّة الأصيلة، ومن أي أيديولوجية عربيّة إسلاميّة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، نستطيع القول: إن مصطفى محمود يعدّ رائدًا لتيار
"الأصالة والمعاصرة"، الأصالة في العودة إلى تراثنا الفكري والروحي الأصيل، والصدور عنه بما يتوافق ومتطلبات الواقع وروح العصر، ليس بكونه فيلسوفًا أو صاحب مذهب فقط بل باعتباره كاتبًا ومفكرًا، تبلورت فيه وتركزت **أفكار ومشاعر** كانت ولا تزال شائعة في عصره، فحاول بوجده ووجدانه، بوجوده وتواجده، أن يستوعبها ويتمثّلها، ويعيد طرحها من جديد، غير منفصل عن أشرف ما في تراثنا من حقائق، غير منعزل عن أروع ما في عصرنا من وقائع!

مصطفى محمود كاتب معاصر استطاع أن يجسّد **(ثقافة الإنسانية الفكرية)** ويحياها ويتمثّلها ويستفيد منها، فتردّدت في كتاباته أصداء العصر، وتشكّلت أفكاره بكل ما أسهم في تكوينها من حقائق أصيلة ووقائع معاصرة! إن هذا كله يجعل منه بحق كاتبًا أصيلًا ومعاصرًا .. بل شاهدًا على عصره".[25]

ثانيًا: بداياته الأدبيّة والتحاقه بكلية الطب

شبّ مصطفى محمود على حبّ القراءة والكتابة والشغف بجميع مجالات العلوم بشقيها: العلوم المجردة التطبيقية من كيمياء وفيزياء وبيولوجيا وعلوم طبيعية، والعلوم النظرية الإنسانية من أدب وتاريخ وفلسفة وسياسة واقتصاد، كما اطّلع على السيرة النبوية وبحث في الأديان والعقائد، فكان مفكرًا موسوعيًا شاملًا في بحثه أصول العلوم كلها، وكان يرى أنّ العلوم كلها مترابطة ولا يمكن أن تتجزأ، وأنّ على الإنسان أن يتأمل في جزئيات الكون بجميع ظواهره الطبيعية والفلكية والكونية؛ حتى يهتدي لرؤية الصورة الكلية التي تفصح عن بديع صنع الخالق، وبهاء عظمته وجلال قدرته.

[23]. د. مصطفى محمود، نار تحت الرماد، دار المعارف، القاهرة/مصر، مقالات كتبت وجمعت في 1979م، صـ(85).
[24]. د. مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف، القاهرة/مصر، دراسة كتبت عام (1970م)، صـ(9-10-11)، **(بتصرف).**
[25]. جلال العشري، مصطفى محمود شاهد على عصره، صـ(9-14-15-16)، **(بتصرف).**

يقول مصطفى محمود عن شغفه الأوّلي بالعلوم التجريبية وبداية رحلته فيها: "شُغفت بالكيميا والطبيعة والبيولوجيا، وكان لي معمل صغير في غرفتي أحضّر فيه ثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت، وأقتل الصراصير بالكلور وأشرّح فيه الضفادع".[26]

ويقول: "وأغرقت نفسي ليل نهار في التجارب العلمية والتي كانت ستودي بحياتي أكثر من مرة، بسبب حدوث بعض الحرائق وانفجاراتٍ صغيرة كل فترة، وأغرقت نفسي بالعلوم التي كنت شغوفًا بها، مثل الكهرباء والبطاريات وجهاز التقطير والميكروفون والرسم على الورق وتنفيذ اختراعات لأجهزة".[27]

رغم ولعه الشديد بهذه العلوم وتجاربه المبكرة فيها، إلا أنه نشر بعض قصائده وقصصه القصيرة من خلال المجلات المدرسيّة، حيث ظهرت مواهبه الشعريّة والأدبيّة أثناء دراسته في المدرسة الثانوية في طنطا.[28]

ومن هنا كان هدفه أن يلتحق بكلية الطب ليتوسع في هذا المجال الذي سيطر على اهتمامه وتفكيره، وبالفعل بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة بتفوّق، التحق بكلية الطب جامعة القاهرة، (القصر العيني)، وبدأ يمارس هوايته وبحثه الدائب عن أسرار مخلوقات الله، فكان يفحص بعناية أجساد الموتى طارحًا تساؤلاته حول سر الحياة والموت، والوجود، والعدم، والخلق.[29]

وقد اشتُهر بين زملائه بحبه للدارسة والتشريح حتى أطلقوا عليه لقب **المشرحجي** وفي عام 1953م تخرج في كلية الطب وتخصص في الأمراض الصدرية، عمل طبيبًا حتى عام 1960م، وأثناء دراسته في كلية الطب بدأ ينشر مقالاته ودراساته وتأملاته وقصصه القصيرة في مجلات (الرسالة) (التحرير) (الثقافة)، وفي صحيفة النداء التي كان يصدرها الوفدي الكبير ياسين سراج الدين، وكان ينشر فيها علي محمود طه، وأنيس منصور، وكامل الشناوي، وكانت أول قصة ينشرها في مجلة الرسالة عام 1947م، وعمره ستة وعشرون عامًا.[30]

تقول ابنته أمل (لمجلة صباح الخير): "أبي المؤلف الطبيب الشاب في بداية العقد الرابع من العمر، صحفي وله عدة مؤلفات، منها: (أكل عيش)، (الله والإنسان)، و(عنبر7) ويعمل بمؤسسة (روز اليوسف)، ويحل مشاكل القرّاء في باب (اعترفوا لي) بمجلة (صباح الخير)، وكان هذا في منتصف عام 1961م، فوالدي من الجيل الأول الذي عمل في هذه المؤسسة العريقة في ظل قيادة السيدة الفاضلة روز اليوسف، وابنها الكاتب الكبير الأستاذ إحسان عبد القدوس".[31]

يتحدث مصطفى محمود عن نفسه قائلًا: "وبعد تفوّقي في المرحلة الثانوية التحقت بكلية الطب جامعة القاهرة التي كانت دراستها قاسية وتحتاج مجهودًا مضنيًا إضافة إلى اعتراض أهلي الشديد على هذا الأمر لكونهم كانوا يرغبون في التحاقي بكلية الحقوق التي كانت تخرج الوزراء والباشوات وقتها، وتحملت كل ذلك لأنه كان لي أهداف أخرى من دراسة الطب غير أن أكون طبيبًا".[32]

وقد كان من ضمن أهدافه لدراسة الطب؛ الوقوف على أدلة مادية يحصّن بها إيمانه وعقيدته، يقول في موضع آخر: "ولكن من أجل أن أصل إلى يقين يزيد من إيماني وكانت أفكاري وأسلوب تفكيري أحد أسباب اختياري لهذه الكلية وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد، فبعد أن تعرفت على البكتريا التي تسبب الأمراض، وكيفية علاجها، وبعد وقوفي أمام الجثث الموجودة داخل المشرحة بالساعات، وجدت نقطة البداية للإجابة على كل ما يدور في فلك الحياة، وكل ما يدور حولي، وعرفت جيدًا من أين جئنا وإلى أين سنذهب، وكان الوقوف أمام الجثث في المشرحة البداية الحقيقيّة للإيمان".[33]

وفي حديثها عن والدها، قالت أمل مصطفى محمود: "وقد كان والدي محاطًا بكوكبة من رجال الفن والإعلام، أمثال: محمد عبد الوهاب، عبد الحليم حافظ، نجاة الصغيرة، شادية، فاتن حمامة، لويس جريس الكاتب السياسي ورفيق كفاحه، وكامل الشناوي وإحسان عبد القدوس".[34]

ثالثًا: أبرز مؤلفاته

- رحلتي من الشك إلى الإيمان: من أعظم كتب الدكتور مصطفى محمود وأشهرها على الإطلاق، جمع فيه عصارة تجاربه الفكرية والعقائدية، وتناول بأسلوب أدبي فائق أبعاد القضية الفلسفية في **(أسباب الوجود)**، لذا يعدّ هذا الكتاب محطّ اهتمام الدارسين في المجالات الفكرية المتنوعة: الدينية العقائدية، ومجالات الفلسفة والمنطق، والميادين العلمية المجردة، والدراسات الأدبية النقدية، ورغم تباين الآراء فيه إلا أنني ابتعدت عن معظمها لأشكل فكرة شخصية عنه، وهي أنّ هذا الكتاب لم يتناول رحلة رجل شكّك بوجود خالق لهذا الكون؛ بل تناول رحلة رجل أعمل عقله وفكره وتأمّل وبحث وسعى جاهدًا ليكون إيمانه بالله عز وجل ثابتًا راسخًا نابعًا عن حب ومعرفة، وليس تقليدًا أعمى واتباعًا أصم.

وهو يسرد في هذا الكتاب تفاصيل الرحلة الفكرية الشاقة المرهقة التي مرّ بها وهو يحاول وينشد الوصول للحقيقة المطلقة التي ارتوى بمعرفتها أخيرًا حيث تجلّت في قلبه وعقله بعدما أنار له ربه طريقه، وأخذ بيده فاختصه بهداية إيمانية فريدة؛ فعرف ربه حق المعرفة ورآه بنور البصيرة ونور العقل ونور القلب؛ فآمن به بيقين العالم، وحب العبد.. وصفاء إيمان العجائز، يقول: "احتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب

---

[26]. د. مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، صـ(9).
[27]. محمد رضوان، مصطفى محمود مشوار العمر، ط1، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 2010م، صـ(7).
[28]. أ. حسني محمد العطار، الدكتور/ مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة، (رسالة ماجستير) صـ(15)، **(بتصرف).**
[29]. محمد رضوان، مصطفى محمود مشوار العمر، صـ(8).
[30]. المرجع السابق، صـ(9).
[31]. أمل مصطفى محمود، أبي، الحلقة الأولى، صـ(2)، **(بتصرف).**
[32]. سيد الحراني، الفارس المتمرد، الحلقة الثانية.
[33]. المرجع السابق، الحلقة الثانية.
[34]. أمل مصطفى محمود، أبي، الحلقة الأولى، صـ(2)، **(بتصرف).**

وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس وإعادة النظر، ثم إعادة النظر في إعادة النظر .. ثم تقليب الفكر على كل وجه لأقطع الطريق من (الله والإنسان) إلى لغز الحياة إلى لغز الموت إلى ما أكتب اليوم من كلماتٍ على درب **اليقين**".[35]

- السر الأعظم: تبلورت النزعة الصوفيّة التي سيطرت على مصطفى محمود بعد أن اعتنقها مذهبًا وديدنًا في كتابه السر الأعظم، حيث يعدّ من أعمق الكتب التي ألّفها إذ تغلغل بفكره الفلسفي الصوفي في أعماق النفس البشرية، فأخذ يحلّق في فضاءات الفطرة النقية التي تستشفّ العبودية الروحية الحقة، وتستدلّ على وجود الخالق ببديع صنعه وعظيم خلقه؛ فيهتدي صاحبها إلى الحقيقة المطلقة التي لا حقيقة سواها؛ وهي ألا نور في هذا الكون إلا نوره سبحانه، ولا سرّ إلا سر وجوده، ولا حضور في مسار الحيوات كلها إلا للذات الإلهية التي لا يماثلها شيء ولا يشبهها شيء ولا يحدها زمان أو مكان أو كيفية، وهو إذ يتعمق في هذا الفضاء الروحي يقدم لكتابه فيقول: "السائر معي في هذا الكتاب سوف يجد المسيرة أشق وأصعب من أي كتاب آخر، وسوف يكتنفه الغموض، وقد يبهم عليه الأمر، لأننا نحاول النفاذ من أقطار السموات والأرض والخروج من حدود الزمان والمكان؛ لنتحسس المطلق حيث لا تسعفنا العبارة، ولا نجد الكلمة، وحيث تتقاصر الحروف عن المعاني".[36]

وأنا المثال الحي الذي يصدق كلام المؤلف في تقديمه هذا، حيث واجهت صعوبةً كبيرة في فهم محتوى الكتاب؛ فلم أتمكن من الاندماج مع معانيه المبهمة والمضامين التي حلّق فيها إلا بعد جهدٍ طويل في القراءة والتفكير.

- نار تحت الرماد: تتجلّى في ثنايا هذا الكتاب أفكار الكاتب الفلسفية العقائدية حيث تكشف عن فكره الإسلامي المعاصر، وهو يعرض المشكلات التي تواجه المجتمعات البشرية على تنوعها شرقًا وغربًا في جميع أنحاء العالم، ثم يقدم حلًا واحدًا واضحًا جليًا لكل هذه الآفات المجتمعية، وهو: الفهم الصحيح لحقيقة الدّين بشكلٍ عام، وفهم جوهر الدّين الإسلامي بشكلٍ خاص، حيث لا يصلح دستور غيره لقيادة حياة البشر بكل ما يطرأ عليها من تغييراتٍ حضارية في مراحلها المتعاقبة، وذلك بطرحه الأدبي الذي تناول فيه المشكلة وناقشها، وعلّل للنظرية التي توصل إليها بالحجج المنطقية وأثبتها بالبراهين والشواهد الاجتماعية التي أتى على ذكرها بتتبّع الأحداث السياسية، والحركات الدينية المتطرفة، وذلك باعتماده على الإحصائيات والحقائق التاريخية.

- وبدأ العد التنازلي: يعد هذا الكتاب من أبرز كتب مصطفى محمود في الاتجاه السياسي، حيث تناول فيه قضية فلسطين وأيديولوجيات الاحتلال الصهيوني، وتحدث فيه عن منطق الحروب بلهجة فلسفية سياسية، انطلاقًا من اندلاعها منذ بدء الخليقة.

لم يكتفِ مصطفى محمود بطرح القضايا السياسية وتحليلها تحليلًا فلسفيًا، بل تطرق أيضًا إلى إيجاد الحلول المنطقية التي تخفف من وطأة النزاعات البشرية في كل العصور، كما ركز على قضية سياسية في غاية الأهمية وهي دور الصهيونية في إشعال الفتن وتفريقهم العالم لجبهات متصارعة، وذلك بوصفهم: "قلة من العقول الشيطانية بلغوا غاية العبقرية في جمع المال وفي تحريكه للشر وللسيطرة ولإثارة الفتن والحروب، وهم يهود ولكن في حقيقة الأمر لا دين لهم ولا معبود لهم إلا نفوسهم وحلمهم المجنون بأن يحكموا العالم".[37]

- نقطة الغليان: مجموعة قصص قصيرة اجتماعية؛ عبّر فيها عمّا يعتري النفس البشرية من ضعفٍ وانهزام أمام الغرائز والشهوات المادية، ومرّر من خلال طرحه الأدبي رؤيته الفلسفية لحقيقة الحياة وجوهر العبودية لله والخضوع لحكمه وأقداره بتسليم ورضا عن طيب نفس.

كما تناول فيها فكرة (فناء المحسوسات)، حيث لا معنى لحياة الإنسان ولا قيمة لسعيه وكدّه إذا لم يكن لله وبالله ولوجه الله.

الفصل الثاني

مقالات من كتابه (الروح والجسد)

سبب اختياري للكتاب

إنّ أول عامل جذبني في مؤلفات الدكتور مصطفى محمود منذ صغري هو أسلوبه الأدبي السلس، كنت أشعر وأنا أقرأ له بأنّ كلماته تتدفق في صدري تدّفق الماء العذب في صدر الظمآن؛ لما في حديثه من عذوبة ورقة ودقة.

تميزت جميع كتبه بلمسات فلسفية؛ فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه من ذلك السمو الفكري والتفكير العميق والتأمل الطويل والاجتهاد في التفسير والتحليل، وفق قواعد المنطق والعقل والفطرة السليمة.

وقع اختياري على هذا الكتاب بالذات لما وجدت فيه من بُعدٍ فلسفي، غاص فيه الدكتور مصطفى محمود في أعماق النفس البشرية وفي أعماق قضايا المجتمع التي تخصّ الفرد والجماعة، وتؤثر بالفرد والجماعة، وتتأثر بالفرد والجماعة.

تناول فيه قضايا تهمّ الإنسان وتغيب عن ذهنه؛ فحلّلها بقالبٍ أدبي لا يخلو من سرد الحقائق العلمية المطلقة، وهذا هو سر مصطفى محمود.

هذا المزيج العذب بين الجانب الأدبي والعلمي هو أكثر ما برع فيه صاحبنا الكاتب.. وهو أكثر ما جذبني في هذا الكتاب.

---

[35]. د. مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، صـ(8)، **(بتصرف).**

[36]. د. مصطفى محمود، السر الأعظم، ط10، دار المعارف، القاهرة/ مصر، د.ت، صـ(12)، **(بتصرف).**

[37]. د. مصطفى محمود، وبدأ العد التنازلي، ط2، دار المعارف، القاهرة/مصر، مقالات سياسية نشرت في 1993م، صـ(24).

نبذة عن الكتاب

لخّص مصطفى محمود في هذا الكتاب عصارة أفكاره الفلسفية ورؤيته الدينية الصوفية؛ فردّ فيه بطريقةٍ مباشرة على فلسفات علماء الغرب (ماركس، فرويد، سارتر...)، وذلك بتناوله تلك النقائض في الحياة: (الروح والجسد، الكراهية والحب، الصدق والكذب، الجنة وجهنم) بتحليلٍ منطقي عقلاني؛ فسّر به الظواهر المعنوية والمادية في حياة الإنسان وربطها بواقعه المعاصر.

يصطدم القارئ إذ يقرأ هذا الكتاب بالأفكار التي تناقض ما درج عليه المجتمع من روتينية التفكير، والتقليد الأعمى، والجمود الفكري الذي صُبّ في قوالب عمّمها المجتمع على جميع الناس، وفرضها على كل فرد، فجعلوا للحب شكلًا واحدًا وللزواج الناجح أسسًا مادية واحدة، وللسعادة البشرية مقوّمات محسوسة محدودة مؤقتة؛ وهو ما يكشف عنه مصطفى محمود في كتابه هذا، حيث قدم فيه جرعةً روحانية تتلألأ بمعانيها السامية، بسلاسةٍ لغوية منقطعة النظير، أبرزت عبقريّته الأدبية ومرونته الفكرية فهو البسيط العميق بآنٍ واحد، صاحب القضية الصعبة يقدّمها بأبسط الكلمات وأبلغ المعاني.

يضمّ الكتاب (ثلاثة عشر) مقالًا، يكشف العنوان مجازيًا عن فحوى هذه المقالات، فقد قامت المقارنة فيه بين المحسوس والملموس والماديات من جهة، وبين الخصائص النفسية والقيم الروحية التي تشكل جوهر الحياة ولبّ السعادة من جهة أخرى، وذلك بلمسةٍ فلسفيّة ولمحةٍ صوفيّة وحلةٍ إيمانية وفكرٍ تأملي، ومنهجٍ تحليلي دقيق؛ يوافق المنطق والعقل والفطرة السليمة.

المقال الأول: (الصمت)

افتتح المؤلف كتابه بمقاله الذي كتبه عن الصمت، وربط موضوعه بالمقام الأول بسموّ الروح وعليائها حيث لا تطالها الألفاظ، وجعل الحبّ من تجليات هذا السمو، فعبّر عنه بشكلٍ مختلف، بشكلٍ قد يرفضه القارئ ويستهجنه، فكيف نتواصل بغير كلام؟ وكيف نعبّر بدون كلمات؟ وكيف نحب .. صمتًا!

والحب أكثر المشاعر هيجانًا وعنفًا.. يفجّر كوامن الإنسان؛ فينطلق لسانه دون أن يدري، فيمضي يحدّث عن محبوبه الجمادات والكائنات وهو يهيم في سكرته، لكنّ الحب عند مصطفى محمود له لونٌ آخر، لونٌ خاص، لون فريد لا يراه المبصرون ولا يفهمه العابرون.

إنّ ما كتبه مصطفى محمود في مقاله (الصمت) يعبّر عن نفسٍ شفافة يملكها، وعن شعورٍ وإحساس مرهف لا يملكه إلا القليل من الناس، وبالفعل فقد عبّر هو بلسانه عن ذلك؛ فربط مسألة الصمت الاختياري العفوي بحب الصوفي لربه ومعرفته به، وهي حالةٌ يمرّ بها الإنسان (العارف بالله)؛ فيعجز الآخرون عن فهمها وتفسيرها بل وينكرونها ويتهمون صاحبها بإطلاق الخرافات وتزييف حقيقة العبودية، لكنني أؤمن أنها حقيقة، وأوافق الدكتور بكل لفظةٍ قالها، سواءً في الصمت الذي جعله بين البشر المتحابّين، والصمت الذي وصف به اتصال العبد بربه؛ فلا ألفاظ تنطق في حضرة الله، يعجز اللسان والفكر والمنطق عن وصف حالة الإنسان وهو بين يدي الله، مستشعرًا وجوده ورقابته وهو يشهد تجليّه ومعيّته.

أمّا عن وصفه اتصال المحب بمحبوبه _ حين قال: "ذلك القرب الذي يتسلّل إلى الشّغاف ويسكن الحنايا دونما صخبٍ ودونما ضجيج ودونما اضطراب، هنا حضور مؤنس يشيع الدفء والبهجة الهادئة والإحساس بالمعية التي تطرد الوحشة والوحدة، هنا كل شيء هامسٌ خافت، بلا صوتٍ وبلا صورة وبلا لفظ وبلا غرض وبلا مأرب، فما أبلغ الصمت! وما أقدره على التعبير!".[38]

_ فإنّه قد تفوّق بكلامه هذا ووصْفه لمشاعر الحبّ الحقيقية على آلاف الشعراء المفوّهين من أصحاب القصائد الرّفيعة، لأن الحب مقرّه القلب، والقلب لغزٌ من ألغاز الحياة وسرٌ من أسرارها.. وفي عمق لحظات الحبّ التي تحدّث عنها الكاتب يعجز اللسان ويحار كيف يعبّر عن هذا الشّعور الذاتي، وليد صفاء اللحظة، بألفاظٍ موضوعة وكلمات مكررة وجملٍ مستهلكة؟!

وقد حاولت أن أبرّر للكاتب قوله: "هنا .. لا مكان لبلاهة قيس وأشعاره".[39]
بأنّه ربما كان يقصد المبالغات الشعوريّة التي أتى بها قيس وغيره من الشعراء الذين كانوا يبالغون في وصف مشاعرهم ووصف محبوبهم؛ حتى لتخرج عن حدود المعقول والمقبول؛ وربمّا لهذا السبب بالذات قيل قديمًا: (أعذب الشّعر أكْذبه).

المقال الثاني: (عن الرّوح والجسد)

تحدّث الكاتب في هذا المقال عن سرّ السعادة التي حاول الإنسان جاهدًا على مر العصور أن يدرك ماهيتها وكيف يحققّها ويحصل عليها، تقوم جميع الفلسفات الغربية منذ القدم على تعريف مصطلح السعادة بشكلٍ يتقارب في كل الحضارات؛ وأغلبها ينص على أنها تقوم على الالتفات إلى المقوّمات المعنوية والقيم الروحية والنفسية، والابتعاد عن الماديات التي ترهق الإنسان في طريقه للحصول عليها، فتقوم الفلسفة البوذية على الزهد بالماديات والمحسوسات والتقشف في جميع مجالات الحياة، والرضا بما هو متاح والاكتفاء بأقل القليل الذي يضمن للإنسان استمرار معيشته، وكذلك قامت فلسفة أرسطو وأفلاطون وتولستوي على القيم والمثل العليا وحب الخير وتطهير النفس والاهتمام بالروحانيات والصفاء النفسي، ونبذ الكراهية والأحقاد، والتغلب على شهوات النفس وعللها الفطرية السقيمة، والسؤال هنا: ما الجديد الذي أتى به مصطفى محمود؟

إنّ مصطفى محمود في هذا المقال اقتبس من فلسفات الحضارات القديمة في تحديد مسارٍ واضح للسعادة البشرية وكيفية الحصول عليها، لكنّه برع في ربط هذه المحاولات المضنية وهذه الوسائل وهذه النظريات الفلسفيّة بالجانب الديني؛ حيث لخّص جميع الأفكار التي تداولتها الثقافة الإنسانيّة الفكريّة حول السعادة المطلقة في قالبٍ صوفي نوراني بديع بألفاظٍ هادئة وأسلوبٍ مقنع؛ فطرح المشكلة وقدّم الحل

[38]. د. مصطفى محمود، الروح والجسد، ط7، دار المعارف، القاهرة/ مصر، د.ت، صـ(10)، **(بتصرف)**.
[39]. المصدر نفسه، صـ(10).

المنطقي لها بعد مناقشتها ومعالجتها بطريقةٍ سلسلة، مترويًا في طرحه العقلاني والذي ينمّ عن فهمٍ عميق وإدراكٍ ووعي بما تكتنفه الحياة من صعود وهبوط، وأفراح وأتراح، وكوارث ونعم، ثم إنّه توصل في النهاية إلى نتيجةٍ واحدة وهي أن سعادة الإنسان تتلخّص في تحقيقه للهدف الذي خُلق من أجله؛ وهو عبادته لخالقه حقّ العبادة، ومعرفته به حق المعرفة، وسيره إليه بصدق المحبة والخضوع والرّضا والاستسلام، ولا يكون ذلك إلا بإدراك الإنسان لضعفه وقصوره واعترافه بعجزه؛ فبإدراكه هذا يتواضع في الأرض ويسعى في عمارتها بدل أن يسعى في خرابها، ويسعى لتحقيق الخير والعدل والسلام بدل أن يسعى في الهدم والكراهية والسلب والنهب والظلم والطغيان.

وقد افتتح الحديث بوصفه تعاسة الإنسان الداخلية؛ تلك التي لا تمحوها كنوز الدنيا وقصور الأرض وأموالها مجتمعة، فالنفس المضطربة لا ترى سوى انعكاس اضطرابها في كلّ منحنيات الحياة؛ فتسعى جاهدةً لإخماد هذا الاضطراب بافتعال اضطرابٍ خارجي، يقول: "سرٌ من أسرار السعادة هو انسجام الظاهر والباطن في وحدةٍ متناسقةٍ متناغمة".[40]

ويستطرد: "النفس التي يعتصرها الغلُّ والتوتر، وتعشّش فيها الكراهية، وتنفجر داخلها قنابل الثأر والحسد والحقد؛ لا تهدأ حتى تخلق حربًا خارجيةً تناسب الحرب الداخلية التي تعيش فيها، فنحن أمام شقاءٍ لن يهدأ إلا بأن يخلق شقاءً حوله".[41]

إذن شعور النّفس الداخلي ينعكس على الخارج، ويصبُّ في الخارج؛ ومن هنا كان احترامُ الفردِ وحفظُ حقوقه احترامًا للمجتمع، وحفظًا لحقوق المجتمع بأكمله.

ثم يتابع مصطفى محمود سرده ليربط الهدوء النفسي والسعادة الحقّة باتصال الإنسان بخالقه ومعرفته به واستشعار عنايته؛ فيقول: "إنّ السعادة في معناها الوحيد الممكن هي حالة الصلح بين الظاهر والباطن؛ بين الإنسان ونفسه، بين الإنسان والآخرين، وبين الإنسان وبين الله؛ فينسكب كلٌّ منهما في الآخر كأنّهما وحدة، ويصبح الفرد منّا وكأنّه الكل .. وكأنّما كلُّ الطّيور تغني له وتتكلّم لغتّه.

فالسعادة لا يمكن أن تكون في المال أو القوة أو السلطة؛ بل هي في (ماذا نفعل بالمال والقوة والسلطة؟)؛ فنحن لم نوهب الشّهوة لنشبعها أكلًا وشربًا ومضاجعة، وتكديسًا للمطامع والثروات.. وإنّما وُهبنا الشّهوة لنقمعها ونكبحها ونصعد عليها، فالجسد هو الضدّ الذي تؤكد الروح وجودها بقمعه وكبحه وردعه والتسلّق عليه".[42]

ثم ختم حديثه بالمنهج القرآني الذي يحقق للإنسان سعادته ضمن الدستور الإسلامي الذي أثبت على مرّ العصور أحقيّة قيادته للحياة البشرية؛ حيث لا دين ولا حكم ولا نظام يصلح لذلك مثلما يصلح الدين الإسلامي، "القرآن كان هو المنهج الأمثل لهذه التزكية النفسيّة فاختار الوسط، طريق الاعتدال، حيث لا إفراط ولا تفريط "وكلوا واشربوا ولا

تسرفوا"{ الأعراف: آية (37) }، فالاستقامة هي سمة الإنسان حقًا، وهي التي تؤدي إلى حالة الصلح بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين الله".[43]

المقال الثالث: (الحبّ والعداوة)

تناول مصطفى محمود في مقاله الحب والعداوة موضوعًا شيقًا، وقد أبدع في صياغته بأسلوبٍ ممتعٍ لطيف، وبنظرةٍ فلسفيّة مقنعة؛ إلا أنّ واحدةً من المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب وهذه المقالات، أنّ الكاتب وهو برأيي مفكرٌ عظيم وكاتبٌ من الطراز الرفيع تناول علاقة الرجل والمرأة في أكثر من موضعٍ في الكتاب، وكان في جميع هذه المواضع يهاجم المرأة بشكل غريب؛ فقام بوضع كل العلل النفسيّة والعثرات الطبيعيّة التي -تواجه النساء والرجال على حدٍ سواء- في الحياة الزوجية على كاهل المرأة؛ وكأنّ الرجل ملاكٌ منزّل؛ لا يرتكب الأخطاء إطلاقًا إنّما تُرتكب في حقه الأخطاء دائمًا، وإن كنت أوافق وأؤيد رفضه لفكرة (الاندماج) بين شخصين اثنين، يتقاسمان الحياة معًا من حيث هي شراكة واحترام لخصوصيّة الطرف الآخر، واحتياجاته الفردية والشخصية، إلا أنني أعترض على الأمثلة التي أوردها بحقّ المرأة، دون توجيه كلمةٍ واحدة للرجل، فهو إذ ذاك ينتصر لحقّ الرجل في تفرّده وخصوصيّته واستقلاله وكينونته، دون أن يتطرّق لما قد تواجهه المرأة من ممارسات التملّك والتحكم والتسلّط الفارغ والتعدي السخيف على حقها في التفرّد والخصوصية في المقابل؛ فالمجتمع يقضي على المرأة (بالذّوبان) في كينونة الرجل، و(الدّوران) في فلكه مدى الحياة، لكنْ في المقابل.. للرّجل أحقيّته في الاستقلال والتفرد!

وهو ما فاجأني الكاتب بالتصريح به، وكأنّه عندما كتب هذا المقال كان تحت وطأة مشكلةٍ زوجيّة عانى منها طويلًا.. وهي مشكلة (الغيرة)، أو ربّما كان تحت وطأة أحكام المجتمع؛ التي لا يسلم منها حتى أعظم المفكرين والفلاسفة والأدباء.. (على ما يبدو).

يقول: "من الأكاذيب الشائعة في الحبّ أكذوبةٌ اسمها (الاندماج).. إن اندماج الاثنين في واحد هو أكبر الشواهد على عمق الحب وحسن الصحبة وسلامة المعاشرة.. وهي كذبة عظيمة، وثمرة تطبيقها نكبة مؤكدة وكارثة.

أولًا لأن الاندماج مستحيل، ولا يمكن لاثنين أن يصبحا واحدًا إلا بمجموعةٍ من الإجراءات التّعسفية، نهايتها المحتومة هي التعاسة؛ فأي محاولةٍ للدمج هي في حقيقتها عدوانًا من كلا الطرفين على استقلال الآخر وفرديّته، مثل ما يحدث من التجسس على الخطابات والتنصت على التليفونات، وتفتيش الجيوب، وشقّ الدماغ لمعرفة ما فيها؛ بحجة أنه لا يجوز أن يكون الاثنان اثنين، وإنما يجب أن يكونا واحدًا؛ لا أسرار ولا خفايا ولا خصوصيات.. واللي في جيبي في جيبك.. واللي في بطني في بطنك".[44]

---

[40]. المصدر السابق، صـ(19).
[41]. المصدر السابق، صـ(20).
[42]. المصدر السابق، صـ(22-23)، **(بتصرف).**
[43]. المصدر السابق، صـ(25)، **(بتصرف).**
[44]. المصدر السابق، صـ(61-62)، **(بتصرف).**

ثم يستطرد ليقول: "انتهاك الخصوصيّة والشخصانيّة والفردانيّة هو أسوأ أنواع العدوان، وهو أشبه باقتحام المجال الجوّي، أو التسلل إلى أرضٍ مقدسة، أو انتهاك الحرمة، وقداسة الشخصيّة الإنسانيّة هي في استسرارها واستغلاقها، وحفظ المسافة في العلاقات الإنسانيّة مثل حفظ المسافة بين العربات أثناء السير، فهي الوقاية الضرورية من المصادمات المهلكة، والله خلق كلًا منا فردًا مفردًا فريدًا منفردًا ونسيجًا وحده؛ فالفرديّة هي حقيقتنا، والتعاطف والمشاركة الوجدانيّة والمواساة شيءٌ غير الاقتحام والغزو والإدماج، التعاطف هو الحياة معًا، والاندماج هو أن يقوم أحد الطرفين في أنانيّة بالتهام الآخر وهضمه والاستيلاء على مخصّصاته وخصوصيّاته، والحالة الأولى إنسانيّة والثانية جريمة واستغلال ونفوذ، وأعجب ما يحدث أن نجد المرأة تحاكم رجلها على ماضيه قبل أن يلتقي بها ويعرفها، وكأنها تملكه من يوم ميلاده، وكأنما يمتد عقد الملكيّة بأثرٍ رجعي، وهي تسمّي ما تفعله حبًا، والحقيقة أنه منتهى العدوان وسوء الخلق".[45]

لا يمكن لأحدٍ أن يصف عدوان تسلّط الرجل على المرأة.. مثلما وصفه الكاتب بهذه العبقرية وهو يهاجم به المرأة.

ثم ينطلق لمهاجمتها من ناحيةٍ أخرى: "ثم هناك المرأة الأخرى التي تريد الرجل وترفض مشاكله وتطلبه لنفسها معقّمًا مستخلَصًا مستقطَرًا من مصادره مثل العطور لا أثر فيه لأي شائبة من ظروفه، وهو لونٌ آخر من الأنانية، ومن الشخصيّة الاستمتاعيّة الاستهلاكيّة التي تريد أن تأخذ ولا تعطي".[46]

وكأنّ الرجل بريءٌ من هذه الأنانيّة، وكأنّه طبعٌ دنيء خُصّتْ به المرأة وحدها! وأكرر: ما أروعه من كاتب، وما أروعه من أديب، وما أروعه من مفكر وهو يصف بكل هذه الدقة عدوان الرجل على المرأة.. من خلال مهاجمته في المقال للمرأة.

المقال الرابع: (ساخطون لا مناقشة)

عبّر مصطفى محمود في هذا المقال عن آفة عصره والمرض الذي انتشر في جميع الأوساط المجتمعية من مثقفين وغير مثقفين، وهو مرض (الاحتجاج والتمرّد بسبب وبدون سبب)، فانطلق من منظور الناقد لهذه الثورات الاحتجاجية في جميع طبقات المجتمع، حيث شاعت آنذاك موضة الرفض والسخط والخروج على جميع القيم الأخلاقية والمثل العليا؛ ليحل محلها الانحلال والفساد والمبالغة في الانحراف عن الفطرة السليمة، مما أدى لذيوع النظريات الفلسفيّة التي تبّناها **سارتر** في العبثية، فكانت سببًا ونتيجة، كما انتشرت آراء فرويد في التحليل النفسي، حيث فسّر جميع ردود فعل الإنسان من زاوية واحدة، هي زاوية الغريزة، وعلى غراره فسّرت الماركسيّة جميع محطات الإنسانية عبر التاريخ بتفسيراتٍ مادية بحتة، حيث لا وجود للمعتقدات الدينيّة والقيم الروحيّة.

يحمل هذا المقال من بين جميع مقالات الكتاب بُعْدًا فلسفيًا واضحًا؛ فقد ردّ فيه الدكتور مصطفى محمود على نظريات الفلسفة الغربيّة من جميع زواياها، وكان ردّه على أبرز روّاد الأفكار الماديّة؛ وقد غلبت على المقال الأساليب الإنشائية من استفهامٍ وتعجب؛ لتدل على النبرة الخطابيّة العاليّة التي تحدّث بها، حيث ناقش هذه المبادئ بصرامةٍ لاذعة ومنطقيّةٍ بحتة، مستنكرًا بصوتٍ عقلاني حاد؛ فجاءت ردوده دقيقة ومباشرة، تحمل في ثناياها آثار الثبات في رؤاه الفلسفية، ورسوخ قناعاته الفكرية، التي توصّل إليها بعد رحلةٍ مضنية من البحث والتفكير والتأمّل، فكأنّ فكره قد نضج في هذه المرحلة؛ واكتملت في ذهنه الصورة التي أفنى عمره في سبيل فهم حقيقتها وإدراكها، يقول: "يتصوّرون أنهم طلائع الحرية، وأنهم أول من خرج من أقفاص الإنسانية، والحقّ انهم خرجوا فعلًا من اقفاص الإنسانية؛ ولكن ليدخلوا في أقفاص القرود.

ومن ظواهر هذه التيّارات الخبيثة التي تسعى للتهديم: غياب الصورة الإلهية من الرواية والقصة، تلك الروايات التي نعيش فيها ساعاتٍ ثقيلة مظلمة؛ وكأنّنا في عالم بلا إله، ونخرج منها بحالةٍ من الشكّ والضياع والتوهان، ونحن نلعن كل شيء.
- إشاعة الإباحية باسم تحرير العواطف.

- إفساد الفطرة بالتركيز على الجريمة والشذوذ.

- فكر سارتر الذي يحمل كلَّ من يعتنقه إلى حالةٍ من الغثيان والقيء والعبثيّة والإحساس بعدم الجدوى، وبأنّ الإنسان قُذف به في الكون، وتُرك وحده بلا عناية وبلا رعاية".[47]

وقد ختم مصطفى محمود المقال بأسئلةٍ تشكّل جوهر الإجابة: "هل صحيح أنّ النظر المنصف إلى الوجود وتأمّل الحياة في موضوعيّة؛ يؤدي بالإنسان إلى حالةٍ من العبثية والإحساس بعدم الجدوى؟

وهل صحيح أن الإنسان يدور في فلك أعضائه التناسليّة كما قال فرويد؟
وهل من الممكن تفسير جميع مراحل التاريخ بالصراع الطبقي كما قالت الفلسفة الماركسية؟

فماذا نقول إذن في الصراع بين روسيا والصين؛ وكلاهما نظامٌ واحد.. وصراعهما يشكل التاريخ؟

وماذا نقول في فدائي يموت في فيتنام أو القدس.. هل هو يدور في فلك أعضائه التناسلية.. وهو الذي يضحّي بجسده كله في سبيل حقٍ مجرّد، ومثالياتٍ صِرفة؟
أمّا خرافة العبثية فهي عبثية سارتر وحده، وحالة باطنية مضطربة يعانيها هو؛ فالكون بريءٌ من العبثية، منضبط أكثر من ساعة إلكترونية، سواءً

[45]. المصدر السابق، صـ(62-64)، **(بتصرف).**
[46]. المصدر السابق، صـ(66).
[47]. المصدر السابق، صـ(70-71)، **(بتصرف).**

نظرنا إلى الذرة وهي أصغر ما فيه أو إلى المجرة وهي أكبر عوالمه، والإنسان لم يُقذف به إلى الكون بلا عناية؛ بل العكس هو الصحيح؛ فالعناية الإلهية حفت به من لحظة ميلاده، بل من لحظة تكوينه في رحم أمه".[48]

ثم تابع يسرد الأدلة والحجج والبراهين العلمية والكونية والطبيعية؛ ليثبت صحة ردوده وينفض عنه الغبار مما علق في أذهان المثقفين في تلك الحقبة من خرافاتٍ فلسفية باطلة، وضياعٍ في متاهات الفكر المضلل المرهق للبشرية جمعاء.

المقال الخامس: (شق في الحائط)

يتحدّث مصطفى محمود عن سموّ النفس الإنسانية فوق أحزانها وهمومها الفردية؛ لتصبح قضيتها الأولى وهدفها الأسمى قضايا الوطن والأمة والإنسانية، وهو بهذا المبدأ الفلسفي يبعث الهمة في النفوس، ويحيي الأمل الذي نازعه اليأس، وهو مبدأ من مبادئ الدين الإسلامي، الذي يحثّ على الصبر والمجاهدة ومواصلة السعي حتى النهاية.

جرعة الأمل التي بثّها مصطفى محمود في هذا المقال تزخر بعلو الهمة، ونضج الفكر، والتركيز على المقاصد العليا؛ فجديرٌ بالإنسان المسلم أن يعتاد النهوض كلما واجهه السقوط، وجديرٌ به أن يرى أبعد من رغباته وهمومه وضيق نظرته الذاتية، وجديرٌ به أن يكون سببًا في سبيل أن تصبح أمّته خير أمّةٍ بين الأمم، إنّ النظرية التي انطلق منها مصطفى محمود هي نظرية التوحد والتآزر ومساندة الغير والتعاون، فهو يرى أن المجتمع والفرد وحدة متكاملة لا تتجزأ؛ حيث يعلو المجتمع بعلو الفرد ويعلو الفرد بعلو المجتمع، يقول: "ما أكثر الناس أشباه النمل الذين يعيشون سجناء محصورين كل واحد مغلق داخل شق نفسه، يتحرك داخل دائرة محدودة من عدة أمتار، ويدور داخل حلقة مفرغة من الهموم الذاتية، تبدأ وتنتهي عند الحصول على كسرة خبز ثم لا شيء وراء ذلك، برغم ما وهب الله ذلك الإنسان من علم وخيال واختراع وأدوات وحيلة وذكاء، وبرغم ما كشف له من غوامض ذلك الكون الفسيح المذهل.

نرى الذي يموت من الغيرة وقد نسي أن العالم مليءٌ بالنساء، ونسي أن هناك غير النساء عشرات اللّذات والأهداف الأخرى الجميلة، ونرى آخر مغلول داخل رغبة أكّالة في الانتقام والثأر، ونرى آخر قد غَرِق في دوامةٍ من الأفكار السوداويّة، وآخر أسر نفسه داخل موقف الرفض والسّخط والتّبرم، ولكن العالم واسعٌ فسيح، وإمكانيات العمل والسعادة لا حدّ لها؛ فلماذا يسجن الإنسان نفسه داخل شقٍ في الحائط، مثل النملة، ويعضّ على أسنانه من الغيظ؟ ولماذا يسرق الناس بعضهم بعضًا ولماذا تغتصب الأمم بعضها بعضًا... والخيرات بلا حدود؟

لماذا لا نخرج من همومنا الذاتية لنحمل همّ الوطن الأكبر، ثم نتخطى الوطن إلى الإنسانية الكبرى، ثم نتخطى الإنسانية إلى الطبيعة وما وراءها، ثم إلى الله الذي جئنا من غيبه المغيب ... ومصيرنا أن نعود إلى غيبه المغيب؟

لماذا نسلّم أنفسنا للعادة والآليّة، والروتين المكرر.. وننسى أننا أحرارٌ فعلًا؟

لماذا أكثرنا نملٌ وصراصير؟

لماذا ننسى أنّ لنا أجنحةً فلا نجرب أن نطير؟!".[49]

- يعدّ هذا الكتاب من أعمق ما كتب مصطفى محمود، فهو يزخر بالفلسفة العقائدية الإسلامية؛ حيث برع في الربط بين المسائل المادية والقضايا الروحية بانسيابيّةٍ عذبة، وتلقائيّة عفويّة، دون تكلّفٍ أو مبالغة، فقد وصف الصمت والروح والجسد والنفس والحب والصدق والكذب والسعادة بعبقرية أدبية تميّز بها؛ حيث البساطة في التّعبير والوصف، والدقة في اختيار الألفاظ وتركيب الصور، وقد لاح في ثنايا الكتاب عمق تفكيره وسهولة تعبيره وصدق إيمانه وغريب معانيه، كيف لا وهو السهل الممتنع، فما أبسط كلماته وما أبلغ معانيها، وما أرق لغته وما أعذب ألفاظه، وما أسمى مقاصده وما أنبل دوافعه!

"اللهم اجعل مكالمتي معك وحدك، فأنت وحدك الذي تعلم ولا تظلم، ولا تتبدل عندك الأقوال والأحكام، ولا تضيع عندك محبة".[50]

رأي الباحثة

رغم إعجابي وتقديري لمنهجه الفكري ورؤيته الدينية المعاصرة، إلا أنني أخالفه مخالفةً ودية في بعض النقاط، وهي إذ ذاك تمثّل رأي الباحثة الشخصي، دون أن تمسّ بالأسس المعتمدة في المنهجيات الفكرية والفلسفية والدينية..

إنّ ما درج عليه المجتمع من فهمٍ خاطئ لمبدأ الصوفية، ومن فلسفة أمور الدين بجعلها أمورًا روحانيّة قلبية، تهتم بطهارة النفس في المقام الأول والأخير، بل إنهم جعلوا هدف المقوّمات الدينية الوحيد هو تطهير النفس من عللها الفطرية، ونقاء القلب وصفاء الوجدان وسمو الإنسانية؛ وهذا أمرٌ لا خلاف فيه وأنا لا أعارضه؛ بل أؤيده وأؤكد عليه وأؤكد في المقابل على طفرة التهاون العجيبة الذي أدى إليه.. فنرى فئات المجتمع في جميع مستوياتها تهمل تثقيف الأجيال الناشئة بأمور دينهم من حيث التعرف على تعاليم العبادات، وأهمية تأدية الفروض والسنن، ومن حيث الإلمام بجوهر العبادة المفروضة وجوهر القيمة الدينية في حياة الإنسان بشكلٍ عام؛ وذلك بدعوى أنّ الإيمان مقرّه القلب!!

[48]. المصدر السابق، صـ(72-73)، **(بتصرف).**
[49]. المصدر السابق، صـ(80-81-82-83)، **(بتصرف).**
[50]. المصدر السابق، صـ(68).

متجاهلين بذلك أنّ الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وأن أعلى قيمة إنسانية تميّز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان أنه دين عملٍ في المقام الأول، فما قيمة الفكرة وما قيمة المشاعر الإنسانية وما قيمة المبادئ الأخلاقية وما قيمة طهارة النفس وما قيمة صفاء القلب... إن لم تترجمها أعمالٌ صادقة، وأداءٌ نزيه، والتزامٌ حقيقي وأداءٌ فعلي لفروض العبادات.. على أرض الواقع؟!

ملخص البحث

- تعدّ الفلسفة من أعظم العلوم التي عرفتها البشرية، وهي على شموليّتها وصعوبتها من الأهمية بمكان؛ حيث يجب على كل إنسانٍ في كل مجتمع أن يطّلع عليها ولو بشقٍ يسير؛ حتى تنمو لديه القدرة على التحليل والنقد والتأمّل.

- العلاقة بين الفلسفة واللّغة والأدب علاقة راسخة، قديمة قدم الحضارات البشرية؛ فلا أدب دون حسٍ فلسفي، ولا فلسفة دون حسٍ أدبي.

- مصطفى محمود طبيبٌ مفكرٌ فيلسوفٌ أديب، أحد أبرز الأسماء اللامعة في مصر والوطن العربي في القرن العشرين.

- برع مصطفى محمود بالتأليف في العلم والدين والفلسفة والأدب والسياسة والمجال الصحفي والاجتماعي؛ فكان كاتبًا موسوعيًا تطرق لقضايا عصره وطرحها بقالبٍ فني ذي بُعدٍ فلسفي؛ فجذب القرّاء والنّقاد والدّارسين.

- يرتبط الدّين بالعلم وبكلّ مجالات الحياة، وقد أثبت الدكتور مصطفى محمود هذه النظريّة عندما عالج أبعادها في كتبه الفلسفية والاجتماعية والسياسية والأدبيّة، حتى أنه لُقّب بـ (صاحب الفكر الإسلامي المعاصر).

- مصطفى محمود مفكرٌ متأملٌ مجتهد، سعى لمعرفة ربه معرفة يقينيّة، وهو وإن ابتعد عن حافّة الصواب في فترة من فترات حياته؛ فإنه قد عاد مؤمنًا بصدق، ملهوفًا متشوّقًا لاعتناق الدين الإسلامي في جوهره الحقيقي؛ وهذا أسمى وأرقى درسٍ في الشجاعة والثبات والإقدام، وقد قدّمه لنا بحلةٍ أدبية رائعة؛ لتتعلم منه الأجيال المعاصرة والقادمة.

- كتاب **"الروح والجسد"** جسّد فيه مصطفى محمود آراءه الفلسفية (الاجتماعية والدينية) بأسلوبٍ عذبٍ سهلٍ بسيط، عميق المعنى بليغ العبارة، يحمل بُعدًا فلسفيًا بملامح صوفية وحسٍ أدبي.

الخاتمة

مصطفى محمود، ذلك الرّجل صاحب الفكر المتّقد، والنفس الإنسانيّة الطيبة، الذي أحبّ الحياة في أصفى صورها حيث يضجّ فيها الخير والرحمة؛ فدعا إلى البناء وكراهية الهدم، في صوتٍ حقٍ متواضع، دون جهلٍ أو تعصب.

أخلص للفكرة والقلم، وأثبت شجاعةً منقطعة النظير في طَرْقِ أبواب العلم والدّين والمعرفة دون خوفٍ أو مللٍ أو كلل؛ ففتح آفاقًا نيّرة أمام من عاصره ومن أتى بعده.

برع الدكتور مصطفى محمود في ربط وقائع عصره بأصالة تراثه، فدعا إلى تمثّل قيم الإسلام الرفيعة في كل مجالات الحياة، دون ابتعادٍ عن حقيقة الواقع وروعة العصر الذي نعيش فيه من تطور إلى تطور ومن تقدم إلى تقدم، وجاءت رؤيته الدينية المعاصرة تنادي بصوتٍ واحد: العلم والدّين رديفان لا نقيضان؛ يقودان دفة الحياة البشريّة جنبًا إلى جنب، وكانت رحلته الشاقة خير دليلٍ أثبت به صحة نظريته الفلسفية الدينية.

ترك مصطفى محمود للمكتبة العربية إرثًا فكريًا قيمًا، حيث بلغ عدد مؤلفاته ما يزيد على **تسعين** كتابًا، تنوّعت مجالاتها بين العلمية والدينيّة والفلسفيّة والاجتماعية والسياسية، كتب فيها بنكهةٍ أدبية أضفت على كتاباته رونقًا جماليًا ومسحةً إبداعية ولمحةً صوفية ولمسةً فلسفية؛ جذب بها المتلقي وأمتعه وفتح له آفاق العلم والمعرفة، وقد استطاع بهذه العبقرية الأدبية أن يصبّ أبعاد أفكاره الفلسفية في قوالب فنية؛ فكتب القصة والمقالة والمسرحيات والروايات كما برع في أدب الرحلات؛ بالإضافة إلى العديد من الدراسات العلمية والدينية وجهوده في فهم وتفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ولا ننسى أن نشير إلى برنامجه الشهير (العلم والإيمان) الذي تجاوز **الأربعمئة** حلقة، وقد جمع قلوب العرب والمسلمين في كافة أقطار الوطن العربي حتى يشهدوا عظمة الخالق وروعة صنعه في إبداع هذا الكون الذي يشهد بكل ذرة فيه على وحدانيّته وتصرّفه المطلق.. في كلّ ما خلق وصوّر.

لاقت أفكاره ونظرته للحياة والعلم والدين الكثير من الانتقادات اللاذعة والرفض والاتهامات، إلا أن ذلك لم يثنِه عن طلب العلم ومواصلة البحث، بروحٍ صافية سمحة وبقلب طفلٍ بريء؛ فاستحق بجدارة لقب الفيلسوف الأديب صاحب الإسلامولوجيا الجديدة التي تجعل من الإسلام علمًا له حق القيام بعيدًا عن النزعات الفردية والمذاهب الفكرية؛ مما يجعله ينصهر في جميع جزئيات الحياة اليومية ويرافق مجريات العصر فيكون الشعلة التي تنير طريق الإنسان في خضمّ معاركه الكبرى.

وأنا في بحثي المتواضع هذا ما استطعت أن أفيه حقّه وكيف أفعل! وهو القامة الأدبية الرفيعة، والفيلسوف المفكر صاحب القلم الجريء والقلب البريء، الذي عاش في سبيل أمّته وناضل في سبيل إعلاء كلمة الحق، وهو القائل: "أما العارفون بالله حقًا فهم البسطاء أهل الاستقامة والضمير الذين تراهم دائمًا في آخر الصف .. إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا .. وإذا ماتوا لم يمشِ خلفهم أحد.

هؤلاء إذا دُفنوا بكت عليهم السماوات والأرض وشيّعتهم الملائكة.. جعلنا الله منهم".[51]

[51]. د. مصطفى محمود، نار تحت الرماد، صـ(80).

وأنا أقول له: أنت بإذن الله منهم.

وأقول للإمارات البلد التي ما فتِئت تدعم الإبداع والمواهب .. فكان هذا سبيلها وديْدنها منذ انطلاق المسيرة .. أقول لها شعبًا وقيادة: شكرًا من القلب.

والشكر الجزيل والعرفان الخالص **لمعالي جمعة الماجد** رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل، صاحب الأيادي البيضاء الذي حمل رسالة الحب والعطاء والعمل المخلص بكل ما تحمله الإنسانية من معنى .. وبكل ما حمله هو من طيب نفسٍ في تأديته للأمانة التي لولاها لما رأتْ بحوثنا النّور، ولما رأينا نحن .. النور.

وقد جعلتُ الكلمة الأخيرة في البحث لمن تستحق شكري في المقام الأول والأخير؛ فأحببتُ أن أختصّها بالذكر في آخر سطر فيه؛ لأقول إن كل ما أنجزناه إنما كان من صنع هذه القامة، **دكتورة لطيفة الحمادي** التي تعجز في حضرتها الكلمات ويستكين أمامها الوصف، وتتوه اللغة العربية بجلالها أمام روحها الطيبة وقلبها النقي ونفسها الصافية وعطائها النادر الأخضر؛ فلها مني كل ما تحتويه اللغة من معانٍ في الاحترام والتبجيل والإجلال.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر

1. د. مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف، القاهرة/مصر، دراسة كتبت عام (1970م).
2. د. مصطفى محمود، الروح والجسد، ط7، دار المعارف، القاهرة/ مصر، د.ت.
3. د. مصطفى محمود، السر الأعظم، ط10، دار المعارف، القاهرة/ مصر، د.ت.
4. د. مصطفى محمود، نار تحت الرماد، دار المعارف، القاهرة/مصر، د.ت.
5. د. مصطفى محمود، نقطة الغليان، دار العودة، بيروت/ لبنان، د.ت.
6. د. مصطفى محمود، وبدأ العد التنازلي، ط2، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 1993م.

المراجع

الكتب:

1. د. أحمد بوعود، الفلسفة على حدود اللغة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، 2022م/1443هـ.
2. أحمد الجزار، مصطفى محمود والتصوف، دار أخبار اليوم، القاهرة/ مصر، 1999م.
3. برتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرياء، عالم المعرفة، 1983م، ج1.
4. جلال العشري، مصطفى محمود شاهد على عصره، ط5، دار المعارف، القاهرة/مصر، د.ت.
5. ديف روبنسون – جودي جروفز، أقدم لك الفلسفة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م.
6. د. رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي/ ليبيا، 2004م/1425هـ.
7. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق/ سوريا، 1425هـ/ 2004م، ج2.
8. مأمون غريب، مصطفى محمود مفكرًا إسلاميًا، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر، د.ت.
9. محمد رضوان، مصطفى محمود مشوار العمر، ط1، دار المعارف، القاهرة/مصر،2010م.
10. د. محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2009م.
11. مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، دار الكتاب المصري، القاهرة/ مصر، 2011م.

الرسائل الجامعية:

1. حسني محمد العطار، الدكتور/ مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 2014م/1435هـ.

المجلات:

1. سيد الحراني، الفارس المتمرد: مذكرات مصطفى محمود، جريدة المصري اليوم، عدد 15/ 12/ 2009م.
2. أمل مصطفى محمود، أبي، مذكرات منشورة في مجلة صباح الخير، الحلقة الأولى.
3. أمل مصطفى محمود، جريدة المصري اليوم: عدد الثلاثاء، 24 مايو 2011.

المواقع:

1. غازي الصوراني. (2022). حول أهمية الفلسفة ودورها في تطور واستنهاض شعوب بلدان مغرب ومشرق الوطن العربي. بوابة الهدف الإخبارية: موقع إعلامي.
2. محمد يوب. (2015). أدب.. فلسفة أي علاقة؟ القدس العربي: صحيفة إعلامية.